الكابوس

مـكان مخيـف شـديد الظلمـة لا أسـتطيع رؤيـة أي شيء أمامـي، رائحـة العفـن تسيطر عـلى المـكان، جسـدي يتألـم بشـدة، عضـلات جسـدي تتمـزق .

أصـوات همهمـات وصرخـات قادمـة مـن العـدم، حاولـت بقـدر الإمـكان أن أسـتعيد تركـيزي وأتحـرك، ولكـن جسـدي يـأبى ذلـك، بعـد عـدة محـاولات بـاءت بالفشـل أخـيرًا نجحـت، اسـتطعت أن أضـع يـدي عـلى الأرض واسـتندت عـلى حائـط كان بجانـبي حـتى اسـتطعت أخـيرًا الوقـوف عـلى قدمـي ..

الألـم مـازال مسـتمر لكـني تحملـت الألـم بصعوبـة بالغـة حـتى أن أخـرج مـن ذلـك المـكان المخيـف ..

خطـوت خطـواتي ببـطء مـن شـدة الألـم بينمـا وأنـا أتحـرك سـمعت صـوت أشـياءَ تتكـسر تحـت قدمـي لا أعلـم مـا هـو هـذا الـشيء !

مازلـت أتحـرك بنفـس خطـواتي البطيئـة ونفـس أصـوات التكسـير الغريـب تحـت قدمـي مـازال مسـتمرًا ..

تحركـت حـتى ظهـرت فتحـة جانبيـة يشـع منهـا نـورًا أحمـرَ غريبًـا تقدمـت مـن هـذه الفتحـة حيـث رأيـت شـيئاً غريبًـا !!

ساحة واسعة يتناثر على الأرضية عظام آدمية وفي منتصف الساحة يوجد تابوتًا ضخمًا منقوش عليه عبارات غريبة تشبه العبارات الفرعونية ..

تحركت أكثر لأتأمل منظر التابوت عن قرب، لكنني فوجئت بصوت أنين قوي انتشر في كل أركان الساحة ... فجأة انفتح غطاء التابوت لتخرج منه امرأة شكلها مفزع، جسد محترق عن آخره واليد اليسرى منفصلة عن الجسد، كانت تتحرك بشكل مفزع ويتدلى من فمها مادة سوداء لزجة، وكل جزء من جسدها يخرج منه حشرات غريبة !!!

أقف عاجزًا عن النطق والحركة حيال هذا المشهد الذي أرى ...

تحركت المرأة بخطوات ثابتة تجاهي

وقدمي كانت مثبتة على الأرض تأبى الحركة من شدة فظاعة المنظر ..

وإذ فجأةً تتحرك الحشرات حتى اقتربت مني !!!

وفي هذه اللحظة

أسمع هذا الصوت يخترق أذني :

-أنت يا أستاذ فوق

فتحت عيني ببطيء، ولكن كانت الرؤية ضبابية، بعد عدة دقائق استطعت أن أرى ذلك الشخص ...كان رجل خمسيني يرتدي جلبابًا أبيض وعمامة على الرأس بشرته كانت سمراء ووجه مليء بالتجاعيد من عامل السن ...

بعد لحظات استعدت الوعي وعلمت بعدها أنني في قطار كان قادماً من الأقصر متجهًا إلى القاهرة ..

وكل ما رأيته مجرد كابوس !

كابوس راودني عندما استقليت القطار من محطة قطارات الأقصر ..

بعد أن توفي والدي سافرت إلى الأقصر على الفور لحضور مراسم الدفن وأكون متواجدًا في مقدمة من سيحضرون للعزاء ....

بعد أسبوعين اضطررت للعودة إلى القاهرة للدراسة، لأنه أصبح لا يفصلني سوى ثلاثة أشهر عن امتحانات آخر العام الدراسي بكلية طب جامعة القاهرة ...

***

مر عدة أيام بعد هذا الكابوس الغريب بشكل طبيعي، حتى ذلك اليوم الذي كنت أراجع فيه بعض محاضراتي، فوجئت بصداع قوي اخترق رأسي، وتحوّل بعدها الصداع إلى دوار قوي، ثم إذا بالرؤية تحتجب تماماً ولم أعد أرى أي شيء!

نفس المشهد بكل تفاصيله مجددًا، جسدي ملقى على الأرض في هذا الظلام المخيف، ثم حاولت تحريك جسدي، حتى نجحت بعد محاولات باءت بدايتها بالفشل .

تحركت وجسدي يتألم بشدة وتحت قدمي نفس صوت التكسير الغامض أسمعه بكل وضوح .

مازلت مستمر في التحرك حتى ظهرت نفس الفتحة الجانبية، دخلت إلى هذه الفتحة حتى رأيت نفس الساحة الكبيرة ويتوسط الساحة تابوت ضخم .

المشهد المختلف الذي لم أره في كابوسي السابق هو مشهد أربعة كائنات أشكالهم تشبه الأقزام، وجسدهم مليء بالشعر وأعينهم حمراء تماماً، وعلى رأسهم قرنان مثل الشياطين كانوا يقفون بشكل دائري

وتتوسطهم المرأة المحترق جسدها عن آخره، والكائنات تقوم بحركات غريبة تسجد وترتفع للمرأة كأنهم يعبدونها .

استمروا على ذلك الحال، ولكنهم توقفوا فجأة عندما لاحظوا وجودي وسطهم نظروا لي بنظره مخيفة تأكدت بعدها بأن ثمة كارثة ستحدث الآن لا محال .

حاولت بقدر الإمكان الهروب منهم، ولكن رد فعلهم كان أقوى وأسرع مني بكثير .

وفي ثواني وبحركة سريعة تحركت الكائنات تجاهي حيث أنهم أمسكوا بجسدي للأعلى لينفتح التابوت وفي لحظه أرى جسدي داخل التابوت .

من صعوبة التنفس داخل التابوت أُغشى عليَّ ليحدث بعدها مثلما يحدث كل مرة أفتح عيني لأرى أنني على فراشي وكل شيء طبيعي .

إلى متى سيستمر هذا الجحيم ؟!

لكن تلك المرة رأيت ورقة كانت بجانبي على الفراش وهي نفس الورقة التي رأيتها في الكابوس من قبل.

وأخيراً شيء مادي أمام عيني رأيته في الواقع ولم يكن في كابوسي هذا، ومن هذه الورقة سأحاول أن أفسر كل شيء يحدث لي .

عندما فتحت الورقة لم أفهم منها أي شيء؛ لأنها كانت مكتوبة بحروف غريبة يصعب قراءتها هل هي حروف فرعونية أم ماذا ؟ لا أستطيع تفسير المكتوب بها .

-نعم لا يوجد أمامي غير « ممدوح « هو من سيفسر لي هذه الورقة .

ممـدوح هـو صديـق لي طالـب بكليـة آثـار ويقيـم معـي بنفـس الغرفـة، لكنـه الآن في زيـارة لـلأسرة في المنصـورة وسـيعود غـداً، وعندمـا يعـود سـأخبره بـكل شيء حـدث ليفـسره لي

فإذا استمر الحال على هذا النحو حتما سأجن .

***

قبل الكابوس بأيام

حينهـا كنـت في الأقـصر بعـد أن تلقيـت مكالمـة مـن والـدتي لتخـبرني بـأن والـدي مريـض ويريـد أن يـراني فـورًا .

بمجـرد وصـولي إلى البيـت دخلـت لغرفـة والـدي وبعـد أن اطمئنيـت عـلى صحتـة، أعطـاني صندوقـاً قديمًـا جـدًا وأوصـاني بعـدم فتحـه الآن .

بالطبـع بحـر مـن الأسـئلة انهـال عـليَّ والفضـول كاد يقتلـني، كنـت أريـد أن أعلـم مـا هـو الـشيء الـذي يوجـد في الصنـدوق، ومـا هـو الداعـي بوصيـة والـدي بعـدم فتـح الصنـدوق الآن .

أخـذت الصنـدوق وخرجـت مـن الغرفـة وتحركـت بعدهـا إلى غرفـتي وبمجـرد دخـولي سـمعت صـوت صريـخ والـدتي يخـرج مـن غرفـة والـدي .

لقـد تُـوفي والـدي بعـد مقابلـتي بدقائـق معـدودة وآخـر مقابلـة معـه كانـت بمثابـة وداع ليـس إلا، لكنـه وداع أضـاف لي كـم هائـل مـن الأسـئلة لا يوجـد إجابـة لهـا غـير عنـد والـدي وهـا هـو تُـوفي الآن .

تناسـيت أمـر الصنـدوق بانشـغالي في مراسـم الدفـن والعـزاء الـذي استمرلأسـبوعين متواصلـين .

***

 # كف الملعونة

عـاد «ممـدوح» مـن المنصـورة وبمجـرد عودتـه حكيـت لـه كل شيء حـدث معـي مـن أول سـفري إلى الأقـصر حـتى بـدأت أحلـم بالكوابيـس الغريبـة .

لـم يصـدق حرفـاً وهـذا مـن حقـه فـلا يوجـد شـخص عاقـل يصـدق هـذه الأشـياء الغريبـة الـتي تحـدث معـي .

أعطيـت لممـدوح الورقـة ليفـسر لي مـا فيهـا ويخـبرني هـل أيضـا أمـر الورقـة ليـس حقيقـي ووهـم أيضـاً مـن أوهامـي .

بعـد أن رأى الورقـة ارتسـم عـلى وجـه ممـدوح الدهشـة ناظـرًا لي، ثـم للورقـة مـرة أخـرى لهـذا تسـاءلت :

- ممدوح.. لماذا تنظر لي هكذا؟

رفع ممدوح وجهه لي وبعدها قال لي بلغة استفسار :

- مـن أيـن جئـت بهـذه الورقـة، لا تقـل لي بأنـك جئـت بهـا مـن عالـم الكوابيـس الخـاص بـك كان يقـول آخـر جملة بـكل تهكم لهـذا جاوبتـه في إصرار :

- كمـا قلـتَ، أنـا جئـت بهـا مـن عالـم الكوابيـس الخـاص بي، إذا أردت أن تصـدق أو لا تصـدق هـذا شيء لا يخـص شـخص سـواك، ولكـن أقسـم لـك بأنـني أقـول لـك الحقيقـة . لكـن الأهـم الآن أريـد منـك بـأن تخـبرني مـا هـو المكتـوب بهـذه الورقـة.

ممـدوح قـال لي كلامًـا غريبًـا لـم أسـتطع أن أصـدق حرفـاً منـه، ولا أعلـم مـا هـو الـشيء المشـترك في قصـة هـذه الورقـة وبيـني أنـا .

فلقـد أخـبرني أن في فـترة العـصر الفرعـوني كانـت الملكـة نفرتيتي زوجـة الملك إخناتـون قـد كفـرت بعبـادة إخناتـون زوجهـا إلـه الشـمس، ولهـذا السـبب أمـر

بقتلها وأيضًا أمر كهنة المعبد بأن يتم تشويه جسدها، وتم قطع يد الملكة ودفنها في مكان آخر بعيد عن جسدها .

لأن الفراعنة كانو يؤمنون بأن الجسد السليم فقط هوالذى يدخل الجنة ولهذا السبب تم تشويه جسدها، وعندما تبعث الملكة من مماتها لا يمس جسدها الجنة وتخلد في النار .

لا أفهم شيء! ما دخلى أنا وهذه الملكة ولماذا تطاردني؟ كلها أسئلة لا يوجد لها أية إجابة .

***

اليوم التالي :

استيقظت في منتصف الليل على صوت شخص أعرفه يتحدث في أذني، كان مجرد صوت فقط لا يوجد أحد في غرفتي، ولكن عندما ترجلت من فراشي وجدت باب غرفتي ينفتح ببطء، حتى انفتح الباب عن اخره فرأيت شخصًا يقف عند الباب يرتدي جلبابًا أبيض ويستند على عصا .

اقترب لي حتى استطعت أن أرى ذلك الشخص كان والدي يقف الآن أمام فراشي ويحدثني بجملة واحدة { كل ما تريد معرفته بالصندوق }

كان يكرر الجملة كثيرًا وفجأة يختفي من أمام عيني لاستيقظ عند استيقاظي تذكرت الصندوق الذي تناسيت أمره بسبب انشغالي بعزاء والدي لهذا قررت السفر إلى الأقصر ..

قبل السفر أخبرت ممدوح بأن يسافر معي إلى الأقصر ليساعدني فيما أنا مقبل عليه، وبالفعل ممدوح وافق ولم يعترض .

***

 # بداية اللعنة كف نفرتيتي

لقد وصلنا إلى الأقصر من عدة دقائق، بمجرد دخولنا البيت وبعد أن سلمت على والدتي واطمئنيت على حالتها، اتجهت ومعي ممدوح إلى غرفتي لغرض ذلك الصندوق الذي تناسيت أمره، بحثت عن الصندوق ووجدته كما هو بنفس المكان الذي وضعته قبل سفري إلى القاهرة، ولم يمسه أحد طوال غيابي، أمسكت بالصندوق وفتحته، وعندما فتحته لم نصدق ما رأيناه بالصندوق !!

يد آدمية ملفوفة بشيء غريب لم نعلم ما هو هذا الشيء، وأيضا موجود بالصندوق ورقة، في هذه اللحظة أمسك ممدوح بالورقة وبدأ في قراءة ما بها ...

منذ خمسة عشر عاماً جاءني شخص يدعي « لوي هامون « باحث وتاجر أيضاً في الآثار المصرية القديمة من فرنسا ..

قال لي إنه يريد دخول مقبرة توت عنخ آمون سراً وأنا الشخص الوحيد الذى بإماكنه مساعدته، وسيكون لي مبلغاً كبيرًا من المال، وعندما سألته لماذا يريد الدخول سراً وهو شخص من ضمن فريق العمل في التنقيب والبحث بمقبرة توت عنخ آمون ..

كان رده أنه لا يريد أن يعرف أحد بهذا الشيء، ولا يوجد أحد يعرف المكان السري بقبر الملك آمون غيره هو، ويريد هو فقط من يكتشف هذا المكان السري ..

وافقت على مضض، وبالفعل دخلنا إلى المقبرة، وأكثر من ساعة نتوغل بداخل دهاليز المقبرة حتى رأينا فتحة جانبية بآخر المقبرة، دلفنا إلى داخل الفتحة لنرى ساحة واسعة وفي منتصفها تابوت فرعوني ضخم .

اقترب « لوي هامون « إلى التابوت، حينها قال لي: ساعدني لنفتح هذا التابوت بالفعل ساعدته وانفتح التابوت، كان التابوت يضم شيئاً ملفوفًا بطريقة غريبة، أهذا شيء من تحنيط الفراعنة أم ماذا لا أعلم ما هو الملفوف .

بعدها أمسك بذلك الشئ وأخذ يفكه حتى انكشفت وعندها علمت بأن هذا الشيء عبارة عن يد آدمية !!! الأغرب ليست اليد، الأغرب هو أن اليد كأنها يد حية، يوجد بها حياة، من ملمسها الساخن والعروق التي تدق أحس بها بين أنامل يدي، في هذه اللحظة أعطيت له اليد بخوف بعد أن أخذتها منه وتأملتها ...

هي دقائق معدودة اليد تتحرك من بين يد « لوي هامون « وتقبض على رقبته وراحت تخنقه حتى انفجرت رأسه لأشلاء أمام عيني !!!

رأيت المشهد متوجساً من شدة الرعب، ولكن سيطر على عقلي شيء واحد وهو ما فعلته، أخذت اليد وخرجت من المقبرة بأقصى سرعة !!

ومن هذا الوقت اليد تطاردني في كل مكان، تطاردني بأحلامي، تطاردني في العمل، في كل مكان متواجد به، تطاردني وتتوعدني بالهلاك !!!

أتذكر يومها، أنني رأيت سيدة وجهها محترق ويدها منفصلة عن جسدها، دخلت إلى غرفتي في منتصف الليل، واقتربت من فراشي، وراحت تتوعدني بالهلاك وأنها ستنتقم ولكن قالت لي لن أنتقم منك أنت سأنتقم من أعز شيء تمتلكه ..

ومن هذا الوقت لم تظهر لي ولم أشاهد أي شيء غريب حدث خلال هذه الفترة، ولكن قبل أيام بسيطة جاءت لي وأخبرتني أنه جاء وقت الانتقام، ولهذا طلبتك يا بني لأنها ستنتقم ولابد من إرجاع هذه اليد

وإلا ستلقى مصيرًا كارثيًا، وأنا لا أريد أن يحدث لك أي مكروه بسببي أنا في شيء لم تفعله أنت ...

بعدما انتهي ممدوح من القراءة اتضح كل شيء أمامي، والدي هو سبب كل ما يحدث لي، وشبح الملكة نفرتيتي يطاردني أنا حتى أدفع ثمن ما فعله والدي ...

والأدهى هو شرط قبول شبح الملكة نفرتيتي لليد، علينا أن نقوم بطقوس معينة حتى تقبل اليد وتفك لعنتها، ولو لم نفعل هذا سألقى مصيري ..

***

داخل مقبرة توت عنخ آمون

عند حلول منتصف الليل دلفنا إلى مقبرة توت عنخ آمون، بعد اتصالي بأحد أصدقاء والدي في العمل لكي نتمكن من الدخول بدون مشاكل، وفي تمام الساعة الواحدة دخلت المقبرة وبعدي ممدوح، وأخذنا نتوغل في ممر طويل وضيق جدًا، لا يسع شخصين، حتى وصلنا لغرفة واسعة تحيطها من الأربع جهات نقوشات فرعونية كثيرة، وبعض المصابيح تبدو كرأس آدمية، يخرج منها لهيباً أحمر.. إضاءته تضيف لساحة الغرفة منظراً أكثر رعباً ...

أخذنا نتأمل المكان بتوجس، بينما نظرت إلى ممدوح الذي يقف أمامي مرعوبًا من هذا المنظر، كنا نتبادل مع بعضنا البعض النظرات، وكل نظرة منها تحمل سؤالاً واحدًا، وهو من أي جهه سندخل، حينها لفت انتباهي فتحة صغيرة أمامي نظرت إليها قليلا، ثم قطعت هذا الصمت قائلاً:

_ سأدخل أنا وستنتظرني هنا وعندما أكتشف المكان من الداخل سأنادي عليك .

بالفعل توجهت ناحية الفتحة، أحمل معي الصندوق الذي يوجد به كف الملكة نفرتيتي وكلما زاد توغلي لداخل الممر زاد معه انقطاع الأكسجين وأصبح التنفس منعدم تمامًا، ومع إصراري وضيق تنفسي، استمريت في السير، حتى وصلت لنهايتها، وهالني ما رأيت ... . عظام آدمية متناثرة على الأرض !! بشكل لا يستوعبه عقل !!! تحركت ببطء حول المكان وصوت تكسير العظام أسمعهُ، ناهيك عن أصوات الهمهمات والصرخات من حولي لا أقدر على تحملها، كأنها تخرج من أعماق الجحيم، تغولت أكثر إلى الداخل، حتي ظهر دخان كثيف وجد من العدم، حجب الرؤية عني تماماً وبعد لحظات تشكل الدخان على هيئة جسم ضخم، ثم ظهر أمام عيني بملامح سوداء، عينيه كأنها جمر من النار، وعلي رأسه قرنان مثل الشياطين !! أخذ الكائن الضخم يضرب بحوافر أقدامهِ على الأرض، حتى خرجت أربع كائنات، تشبه الكائن في كل شيء ولكنها صغيرة الحجم عنه، بنفس هيئته، الحوافر والبشرة السمراء والشعر المنتشر بأجسادهم وأعينهم الحمراء ونظراتهم التي كانت تضيف لي رعشة قوية بجسدي المثبت على الأرض .

وأكثر ما هالني من هذه الكائنات، أنها كانت تفعل أشياء غريبة، تحركت حركة واحدة، ثم بدأت ترسم دائرة على الأرض، في لحظتها خرجت من الدائرة امرأة شكلها مخيف جدًا، بوجه وجسد محترق ويد منفصلة عن الجسد. وقفت المرأة عدة دقائق في الدائرة، والكائنات الأربعة تحيطها ومعهم الكائن الضخم، أخذوا يسجدون ويركعون لها كأنهم يعبدونها، كنت أشاهد هذا المنظر بجسد ثقيل لا يتحرك وفم لا ينطق بحرف من شدة فظاعة المشهد، لكنني حاولت السيطرة على نفسي وأخذت بعدها الصندوق ووضعته تحت أقدام الملكة نفرتيتي، لكنها فعلت شيئًا لم أفهمه، تحركت تجاهي وأخرجت ضحكة قوية أحدثت هزه قوية بالمكان، ومن ثمّ بدأت تتكلم موجهة حديثها لي:

_ الموضوع ليس بهذه البساطة، حتى تنفك اللعنة وأقبل تدنيس جسدي، عليك بتقديم أضحيه لي، وبعدها ستنتهي اللعنة .

لم أفهم ما تقصده بكلامها، لهذا قلت لها:

_ عن أي أضحيه تتحدثين ؟ ...

بادلتني قائلة :

_ دم ...أريد دم بشري لفك اللعنة

بعد كلمتها الأخيرة اختفى كل شيء، الكائنات والملكة نفرتيتي وحتى الصندوق..

لم أقدر على استيعاب شيء مما حدث، هل كل شيء كابوس أراه أم هو حقيقي ....أسئلة لم أجد لها أي إجابة .

قطع تفكيري صوت صرخة قوية تصدر من خارج الفتحة، حينها سيطر بعقلي هاجس، أن هذا الصوت هو صوت ممدوح، لم أحتمل فكرة حدوث مكروه له، إن حدث له شيء سأعيش باقي حياتي بتأنيب الضمير .

ذهبت مسرعًا إلى مكان الصوت، وعندما وصلت لخارج الفتحة، رأيت جسد ممدوح ملقى على الأرض، بلا رأس، وكل جزء من جسده ممزق، وبقعة دم دائرية بجانبه !!!! اسودت الرؤية بعدها ولم أشعر بأي شيء حولي ...

***

استعدت الوعي لأجد نفسي مستلقي بفراشي ووالدتي بجانبي وعندما رأت أني أفقت... انتفضت صارخةً من مكانها ..

لتقول لي:

_ أحمد الله على سلامتك يا ابني ..أخيرًا أفقت ...

بعدما اطمأن عليّ حكت لي ما حصل منذ أن وجدوني، أشياء لا يصدقها بشر، أنني فقدت الوعي منذ أسبوع وصديق والدي، رآني أخرج من المقبرة أصرخ من الرعب والفزع...

وعندما سألتها ماذا عن ممدوح ؟!...

قالت لي وجدوا جثته داخل المقبرة ممزقة !!! توفي ممدوح بسببي أنا، لأنني من قدمته أضحية لهم، بغير وعي مني، أو إدراك

بعد عدة أيام استيقظت على صوت همهمات داخل غرفتي، اهتز جسدي بذعر، أصابتني قشعريرة قوية من ذلك الصوت، بينما اليد على الأرض تتحرك بسرعة متجهة إليَّ ! حتى اقتربت لرقبتي لتخنقني بكل قوة، سقطتُ بعد ذلك على الفراش بعد صراع دام لدقائق لأصبح بعد ذلك جسدًا بلا روح ! هنا يعم الصمت في كل أرجاء الغرفة لينتهي كل شيء.

تمت

محمد مهني